

كشف النور عن أصحاب القبور

للامام العلامة العارف بالله ناصح الامة قدوة المحققين
سیدی عبدالغنی آفندی النابلسی رضی اللہ تعالیٰ عنہ

(م ١١٤٣ھ)

مکتبہ قادریہ
جامعہ نظامیہ رضویہ لوہاری منڈی لاہور

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده ، والصلوة والسلام على من لا نبي بعده ؛ يقول الحقير [عبد] الغنى ابن اسماعيل النابلسى الحنفى : هذه رسالة كتبتها فى ظهور كرامات الاولياء بعد [ز]والهم وحكم رفع البناء عليهم وتعليق الستور الى غير ذلك وسميتها «كشف النور عن [أ]صحاب القبور» . واسأل الله تعالى أن يلهمنى ما هو الحق والصواب وأن يوفق [إ]خوانى المسلمين إلى الإنصاف عند ظهور الحق والاعتراف ، والله على كل شىء [قد]ير وبالإجابة جدير .

اعلموا إخوانى فى رضاعة ثدى الإسلام أن الكرامات التى أكرم [الله] تعالى بها اولياءه المقربين الى حضرته أمور خارقة لعادة الله تعالى فى خلقه، [يخ]لقها الله تعالى بمحض قدرته وارادته لا مدخل لقدرة الولى المخلوقة فيه [و]لا لارادته المخلوقة فيه أيضاً على التأثير فيها البتة وإنما قدرة الولى وارادته المخلوقتان فيه سبب لخلق الله تعالى تلك الكرامات على يديه ونسبتها اليه ، وكل من [اعت]قد ان الولى له تأثير فى شىء من ذلك فهو كافر بالله تعالى على ما عرف فى علم التوحيد .

وحقيقة أمر الولى فى خلق الله تعالى الكرامات على يديه انه متحقق [ب]وحدانية الله تعالى فى التاثير . وانه لا تاثير له عند نفسه البتة حتى ان حركات [نف]سه التى هى القوى الروحانية المتشعبة فى البدن وهى القوة الباصرة والقوة السامعة [و]القوة الذائقة والقوة اللامسة والقوة الشامة والقوة العقلية الباطنية المتفكرة المتخيلة والحافظة . وكذلك الحركات الظاهرة فى جميع الاعضاء والاعصاب [وغ]ير ذلك ، فانها مخلوقة فيه لله تعالى . وهو مشاهد لجميع ذلك فى نفسه ومتحقق [ب]ه فى كل وقت إلا إذا سلط الله عليه الغفلة فى بعض الأحيان فيكون فى ذلك [ال]وقت ليس بولى الله تعالى إلا بحسب ما مضى كالمؤمن النائم فانه مؤمن بسبب

حكم ما مضى فى اليقظة من الإيمان وهذه الحالة هى أدنى أحوال الأوليا وأدنى شهود من شهوداتهم . وربما سموا شيئاً من ذلك فى طريقهم موتاً اختيارياً اخذا من إشارة قوله تعالى ﴿ انك ميت وانهم ميتون ﴾ ومعنى اشارة الآية على عدم الفرق بين ميت بالسكون والتشديد كما ذكره الجوهرى فى الصحاح : انك يا محمد وإن ظهر التأثير منك ومنهم فى الباطن والظاهر بحسب الإدراك والافعال ميت وهم ميتون لإن حياتك مخلوقة كحياتهم وهى عرض يخلق الله تعالى الادراك باطنا والافعال والاقوال ظاهراً عندها لابها ، فهى سبب لخلق ذلك من الله تعالى فهى موت فى حقيقة الأمر فيك وفيهم جميعا . وهذا الموت الاختيارى شرط فى مقام الولاية حتى إذا لم يتحقق به الولى فى نفسه فليس بولى واليه الاشاره بقوله عليه السلام : «من عرف نفسه فقد عرف ربه» يعنى من عرف نفسه ، انها كناية عن قوى باطنية وظاهرية منبعثة من العدم بسطوة قدرة غيره عرف ربه . والرب هو المالك يعنى عرف مالك امره الباطن والظاهر وهو الله تعالى فيعرفه من حيث انه الخالق لتلك القوى والمصرف لها فيما يشاءه تعالى ويختاره ويعلم ان نفسه فى يد الله تعالى يتصرف فيها كيف يشاء كما كان يقسم النبى ﷺ بقوله : «والذى نفسى بيده» أى وحق الذى جميع قواى الباطنية والظاهرية فى تصرفه وحده لا مدخل لى فى ذلك البتة . ومن هنا يفهم قول النبى عليه السلام فى حديث التقرب بالنوافل : «كنت سمعه الذى يسمع به ،وبصره الذى يبصربه» ... الى آخره فيظهر لذلك المتقرب بالنوافل الفاعل المتصرف فى قواه كلها وتبقى القوى عنده اعراضاً زائلة كما هى فى حقيقة الأمر فيكون الحق كناية عنها بعد زوالها من نظر ذلك المتقرب . وليس هذا كله إلا بعد حصول الموت الاختيارى له .

واذا كان كذلك فالولاية مشروطة عند العارفين بادراك الموت والتحقق به ، والكرامات للاولياء مشروطة حينئذ عندهم بوجود الموت لا بفقده فكيف يزعم عاقل ان الموت ينافى الكرامات ؟ والكرامات مشروطة به . وإن لم يتحقق به الانسان فى نفسه فليس بعارف ولا ولى . وانما هو عامى من عوام المؤمنين غافل محجوب . وذلك لان الولى هو الانسان الذى يتولى الله تعالى جميع اموره الباطنية والظاهرية كما ذكرنا . وأما غيره فنفسه هى التى تتولى امرها بسبب

الغفلة والحجاب عن المتولى فى الحقيقة لجميع الأمور وهو الله تعالى لأنه تعالى متولى أمر المؤمن والكافر والغافل والمستيقظ ، ولكن قال تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر اولوالالباب ﴾ . أى إنما يعلم ذلك ، وهو عدم الفرق بينهما اصحاب البصائر .

ومما يدل على ثبوت الكرامة بعد الموت من أقوال الفقهاء قولهم بكراهة الوطىء على القبور . قال فى مختصر محيط السرخسى للامام الخبازى : وكره أبو حنيفة رحمه الله تعالى ان يطأ على قبر أو يجلس أوينام عليه او يبول او يتغوط لما فيه من الإهانة . وفى جامع الفتاوى لقارئ الهداية : وسئل بعض الفضلاء عن وطىء القبور فقال : يكره . قيل : هل يكره على انه تارك للاولى . فقال : لا بل يأثم لانه عليه السلام قال : لأن أضع قدمى على جمر أحب إلى من وطىء القبر . قيل : التابوت والتراب الذى فوقه بمنزلة السقف . فقال : وان كان له بمنزلة السقف لكن حق الميت باق فلا يجوز . أن يوطأ . وسئل الخجندى عن رجل لو كان قبر والديه بين القبور هل يجوز له ان يمر بين قبور المسلمين بالدعاء والتسبيح وقراءة القرآن ويزور قبرهما ؟ فقال : له ذلك ان امكنه من غير وطىء القبور انتهى . وفى فتح القدير : ويكره الجلوس على القبر ووطئه . وحينئذ فما يصنعه الناس ممن دفنت أقاربه ثم دفنت حواليهم خلق ، من وطىء تلك القبور الى ان يصل الى قبر أبيه مكروه ويكره النوم عند القبر وقضاء الحاجة بل اولى وكل ما لم يعهد من السنة ، والمعهود منها ليس إلا زيارتها والدعاء عندها قائماً كما كان يفعل ﷺ فى الخروج الى البقيع ويقول : «السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون اسأل الله لى ولكم العافية» . انتهى كلامه . وحيث صح هذا وثبت فى كتب الفقه فنقول : لم يكره الوطىء على القبر والجلوس عليه إلا لكرامة الموتى بعد موتهم . وهذه الكرامة ثابتة فى الشرع . وهى امر خارق للعادة فى الخلق ، فان العادة جارية ان الانسان يباح له ان يمشى على الأرض وأن يجلس عليها وأن يطىء برجله ابعاض الحيوانات كلها إلا موتى أهل الايمان ، فقد خولفت العادة فى حقهم فكره ذلك كله كراهة تحريم،

لانها المحمل عند الاطلاق . وإنما كان ذلك تكريماً لهم بعد موتهم ، وهم من عوام المؤمنين . فكيف الحال مع خواصهم وهم اهل الولايه المقربون الى الله تعالى . فقد ثبتت الكرامة بعد الموت على لسان الشرع .

وايضاً ثبوت ان النبي ﷺ كان يزور القبور فى البقيع ويدعو عندها قائما دليل على ثبوت الكرامات بعد الموت لان النبي ﷺ لو لم يكن يعلم ان الدعاء عند قبور المؤمنين مستجاب لخصوصية فى المكان بسبب الموتى المدفونين فيه لما دعا عند قبورهم بقوله عليه السلام : «اسأل الله لى ولكم العافية» واستجابة الدعاء ببركة قبور المؤمنين التى تنزل عليها الرحمة من جملة الكرامات للمؤمنين بعد الموت . وذلك فى حق قبور عوام المؤمنين فكيف قبور خواصهم من أهل التوحيد الكامل اليقين من المقربين إلى الله تعالى . وفى ذلك ثبوت الكرامة بعد الموت أيضاً .

ومن الدليل على ثبوتها بعد الموت ايضاً حكم الشرع بوجوب تغسيل الميت المسلم ووجوب تكفينه ودفنه تكريماً له . وهى كرامة اثبتها الشرع للمؤمنين بعد الموت خارقة للعادة فى حق موتى سائر بنى آدم من الكافرين وجميع الحيوانات التى جرت العادة الشرعية بعدم تغسيلها .

ومن الدليل على ذلك ايضاً ما قاله صاحب النهاية فى شرح الهداية : ان الميت ينجس بالموت وان التغسيل واجب لإزالة نجاسة تثبت بالموت كرامة للآدمى بخلاف سائر الحيوانات . وفى جامع الفتاوى: يغسل لتنجسه بالموت كسائر الحيوانات الدموية الا انه يطهر بالغسل كرامة له . وقيل : لا ينجس لانه مؤمن بل الغسل لاجل انه على غير وضوء انتهى . وهذا يدل على ثبوت الكرامة للمؤمن بعد موته ايضاً .

وذكر فى جامع الفتاوى : ان البناء على القبر لا يكره إذا كان الميت من المشايخ والعلماء والسادات . وذكر فيه ايضاً انه ينبغى أن يكون غاسل الميت على طهارة ويكره أن يكون حائضاً أوجنباً انتهى . وهذا مما هو صريح فى ثبوت الكرامة للمؤمن بعد الموت ايضاً بل الكرامات كلها لا تكون للمؤمن إلا بعد الموت . وأما فى الحياة الدنيا فلا كرامة له فى الحقيقة إلا مجازاً لانه يكون فى دار الجوار

لاعداء الله تعالى دار يكفر فيها بالله تعالى وهذا لا يشك فيه عاقل البتة . وفى عمدة الاعتقاد للامام النسفى رحمه الله تعالى : وكل مؤمن بعد موته مؤمن حقيقة كما فى حال نومه وكذا الرسل والأنبياء عليهم السلام بعد وفاتهم رسل وانبياء حقيقة لان المتصف بالنبوة والإيمان الروح وهو لا يتغير بالموت انتهى .

وربما نقول : مراده بالمؤمن المؤمن الكامل وهو الولى ، والإيمان وهو الايمان الكامل وهو الولاية وهى باقية بعد الموت لان المتصف بها الروح والروح لا يتغير بالموت . او المراد مطلق المؤمن ومطلق الايمان فيكون المؤمن الكامل والايمان الكامل مفهوماً بالطريق الاولى بحسب ما ذكرنا لا سيما وقد قال تعالى فى حق أهل الجنة : ﴿لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى﴾ ونحن نتكلم على إشارة هذه الآية ولا نمنع عبارتها كما هو دأب اهل الله تعالى فنقول فيما نحن بصدده العارفون بربهم لهم موتتان موتة فى نفوسهم وموتة فى أبدانهم . والمعتبر عندهم النفوس دون الابدان لان الابدان مساكن النفوس والعبرة بالساكن لا بالدار والسر فى السكان لا فى الديار . فاذا جاهدوا انفسهم المجاهدة الشرعية باطناً وظاهراً وسلكوا طريق الاستقامة ماتت نفوسهم فتحققوا بالحق لما ذاقوا الموت وبقيت أرواحهم مدبرة لأجسامهم فى الدنيا بغير واسطة النفوس فكانوا ملائكة فى صورة البشر ، لأن الملائكة أرواح مجردة وهم بعد موت نفوسهم ارواح مجردة ايضاً ، كما كان ينزل جبريل عليه السلام الى صورة دحية الكلبي رضى الله تعالى عنه ويأتى الى النبي ﷺ فعند ذلك اذا انقطعت علاقة أرواحهم من تدبير أبدانهم كانوا بمنزلة جبريل عليه السلام اذا عاد الى عالم تجرده وفارق الصورة البشرية . ولا يسمى هذا موتاً حقيقياً فى حقهم بل يسمى انتقالاً من عالم الى عالم آخر وتقلباً فى الأطوار . ولهذا قال تعالى عنهم ﴿لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى﴾ وهذه اشارة الآية الكريمة التى لا تنحصر معانيها وعباراتها ولا تنفد حكمها واسرارها واشاراتها . وإذا كان الأمر كذلك فكيف يتوهم عاقل ان الله تعالى يقطع تكريمه عن هذا الولى الذى كملت ولايته بموته الطبيعى والتحاقه بعالم المجردات حتى صار مع الملائكة فى فضاء الأزل والملكوت كما كان يقول النبي ﷺ عند موته : «اللهم الرفيق الأعلى».

هذا وقد ورد فى كتاب المحققين من أهل الله تعالى كثير من الحكايات والأخبار المفصحة عن وقوع الكرامات للأولياء بعد الموت وتداولته الثقات مما لا يسع انكاره. فمن ذلك ما ذكره قدوتنا الى الله تعالى المجتهد الكامل والعالم العامل الشيخ محى الدين ابن العربى قدس الله سره فى كتابه «روح القدس فى مناصحة النفس» فى ترجمة ابى عبدالله ابن زين اليابرى بالياء المثناة التحتانية وضم الباء الموحدة التحتانية الإشبيلى ، كان من اهل الله تعالى انه قرأ ليلة" تأليف ابى القاسم ابن حمدين فى الرد على أبى حامد الغزالى فعمى فسجد لله تعالى من حينه وتضرع وأقسم انه لا يقرأه أبداً ويذهبه ، فرد الله تعالى عليه بصره انتهى . وهى كرامة صدرت لأبى حامد الغزالى رضى الله عنه بعد موته على يد هذا الانسان . وذكر الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتاب له فى ذكر الموت سماه «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» قال : أخرج الحافظ أبو القاسم اللالكائى فى السنة بسند عن محمد بن نصر الصائغ قال : كان أبى مولعاً بالصلاة على الجنائز . فقال : يا بنى حضرت يوماً جنازة . فلما دفنوها نزل الى القبر نفسان ثم خرج واحد وبقى الآخر وحثى الناس التراب . فقلت : يا قوم يدفن حى مع ميت ؟ فقالوا ما ثم احد فقلت: لعله شبه لى . ثم رجعت فقلت :ما رأيت الا اثنين خرج واحد وبقى الآخر لا أبرح حتى يكشفه الله ما رأيت فقرأت عشر مرات يس وتبارك وبكيت وقلت : يا رب ! اكشف لى عما رأيت فانى خائف على عقلى ودينى . فانشق القبر فخرج منه شخص فولى مبادراً . فقلت : يا هذا بمعبودك الا وقفت حتى اسألك فما التفت . فقلت الثانية والثالثة فالتفت وقال : أنت نصر الصائغ . فقلت : نعم . قال : ما تعرفنى ؟ قلت : لا . قال : نحن ملكان من ملائكة الرحمان موكلان بأهل السنة إذا وضعوا فى قبورهم ، نزلنا حتى نلقنهم الحجة . وغاب عنى .

وحكى اليافعى فى روض الرياحين عن بعض الأولياء . قال : سألت الله تعالى أن يرينى مقامات أهل القبور . فرأيت ليلة من الليالى القبور قد انشقت واذا منهم النائم على السرير ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرر ومنهم الباكى ومنهم الضاحك فقلت : يا رب لو شئت ساويت بينهم فى الكرامة . فنادى مناد من أهل القبور : يا فلان هذه أمثال الأعمال .

اما أصحاب السندس فهم اصحاب الخلق الحسن ، وأما أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء ، وأما اصحاب الريحان فهم الصالحون ، وأما اصحاب السرر فهم المتحابون فى الله ، وأما اصحاب البكاء فهم المذنبون ، وأما أصحاب الضحك فهم أهل التوبة .

قال اليافعى : رؤية الميت فى خير أو شر نوع من الكشف يظهر الله تبشيراً وموعظة او مصلحة للميت أو اسداء خير او قضاء دين أو غير ذلك . ثم هذه الرؤية قد تكون فى النوم وهو الغالب وقد تكون فى اليقظة وذلك من الكرامات الأولياء أصحاب الأحوال . وقال فى كفاية المعتقد : أخبرنا بعض الأخبار عن بعض الصالحين أنه كان يأتى قبر والده فى بعض الأوقات ويتحدث معه .

وأخرج اللالكائى فى السنة عن يحيى بن معين قال:قال لى حفار أعجب ما رأيتا من هذه المقابر انى سمعت من قبر والمؤذن يؤذن وهو يجيبه من القبر .

وأخرج ابو نعيم فى الحلية عن سعيد بن جبير قال : انا والله الذى لا إله إلا هو أدخلت ثابت البنانى فى لحده ومعى حميد الطويل . فلما ساوينا عليه اللبن سقطت لبنة فاذا انابه يصلى فى قبره . وكان يقول : اللهم ان كنت اعطيت احداً من خالقك الصلاة فى قبره فأعطنيها فما كان الله ليرد دعائه .

وأخرج الترمذى وحسنه والحاكم والبيهقى عن ابن عباس قال ضرب بعض أصحاب النبى ﷺ خباءه على قبر وهولا يحسب أنه قبر فاذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها . فأتى النبى ﷺ فأخبره فقال النبى ﷺ : هى المانعة هى المنجية تنجيه من عذاب القبر . قال ابو القاسم السعدى فى كتاب الافصاح: هذا تصديق من رسول الله ﷺ بان الميت يقرأ فى قبره . فان عبدالله أخبره بذلك وصدقه رسول الله ﷺ . وأخرج ابن مندة عن طلحة عن عبيد الله قال اردت مالى بالغابة فادركنى الليل فأويت الى قبر عبدالله بن عمرو بن حزام فسمعت قرأة من القبر فما سمعت أحسن منها فجئت الى رسول الله ﷺ فذكرت ذلك له . فقال: ذلك عبدالله ألم تعلم ان الله قبض

أرواحهم فجعلها فى قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط الجنة . فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانها الذى كانت فيه .

وأخرج أبو نعيم فى الحلية عن ابراهيم ان المهلبى قال حدثنى الذين كانوا يمرون بالحصر فى الاسحار قالوا : كنا اذا مررنا بجنبات قبر ثابت البنانى سمعنا قرأة القرآن .

وأخرج ابن مندة عن سلمة بن شبيب . قال سمعت ابا حماد الحفار . وكان ثقة ورعاً . قال : دخلت يوم الجمعة المقبرة نصف النهار ، فما مررت بقبر إلا سمعت منه قراءة القرآن . وأخرج ابن مندة عن عاصم السقطى قال : حفرنا قبراً ببلخ فنفذ فى قبر فنظرت فاذا بشيخ فى القبر متوجه الى القبلة وعليه إزار أخضر واخضر ماحوله وفى حجره مصحف يقرأ فيه . وأخرج ابن مندة عن ابى النصر النيسابورى الحفار . وكان صالحاً ورعاً قال : حفرت قبراً فانفتح فى القبر قبر آخر ، فنظرت، فاذا أنا بشاب حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح جالساً متربعاً وفى حجره كتاب مكتوب بخضرة أحسن ما رأيت من الخطوط وهو يقرأ القرآن فنظر الشاب إلى وقال : أقامت القيامة ؟ قلت : لا . فقال : اعد المدرة الى موضعها فاعدتها إلى موضعها .

ونقل السهيلى فى دلائل النبوة عن بعض الصحابة رضى الله عنهم انه حفر فى مكان فانفتحت طاقة . فاذا شخص على سرير وبين يديه مصحف يقرأ فيه وامامه روضة خضراء وذلك بأحد ، وعلم انه من الشهداء لأنه رأى فى صفحة وجهه جرحاً . وأورد ذلك ايضاً أبو حيان فى تفسيره . وحكى اليافعى فى روض الرياحين عن بعض الصالحين قال : حفرت لرجل من العباد قبراً وألحدته فيه فبينما أنا أسوى اللحد اذ سقطت لبنة من لحد يليه فنظرت فاذا شيخ جالس فى القبر عليه ثياب بيض تقعقع وفى حجره مصحف من ذهب مكتوب بالذهب وهو يقرأ فيه فرفع رأسه إلى وقال : أقامت القيامة ؟ رحمك الله . قلت : لا . فقال رد اللبنة الى موضعها رعاك الله . فرددتها . وقال اليافعى ايضاً : روينا عمن حفر القبور من الثقاة انه حفر قبراً

فأشرف فيه على انسان جالس على سرير وبيده مصحف يقرأ فيه وتحته نهر يجرى فغشى عليه وأخرج من القبر ولم يدروا ما أصابه فلم يفق إلا فى اليوم الثالث .

واخرج سعيد بن منصور عن عدية بنت أهبان بن صيفى الغفارى صاحب رسول الله ﷺ قالت : أوصانا أبى ان نكفنه فى قميص قالت : فلما أصبحنا من الغد من يوم دفنا ، اذا نحن بالقميص الذى دفناه فيه عندنا .

واخرج ابن ابى الدنيا فى كتاب المنامات بسند لا بأس به من مرسل راشد بن سعد ان رجلا توفيت امرأته ، فرأى نساءً فى المنام ولم ير امرأته معهن ، فسألهن عنها . فقلن : انكم قصرتم فى كفنها فهى تستحى تخرج معنا . فأتى الرجل الى النبى ﷺ وأخبره . فقال النبى ﷺ : انظر هل الى بقية من سبيل . فأتى رجلاً من الأنصار قد حضرته الوفاة فأخبره فقال الانصارى : ان كان احد يبلغ الموتى بلغته . فتوفى الانصارى فجاء بثوبين مشردين بالزعفران . فجعلهما فى كفن الانصارى . فلما كان الليل أتى النسوة ومعهن امرأته ، وعليها الثوبان الأصفران انتهى .

وذكر الشيخ الشعراوى رحمه الله تعالى فى كتابه «طبقات الأخيار» فى ترجمة الشيخ أحمد البدوى ان سيدى عبدالعزيز الديرينى رضى الله عنه كان اذا سئل عن سيدى أحمد البدوى قال : هو بحر لا يدرك له قرار واخباره ومجيئه بالأسرى من بلاد الفرنج وإغاثة الناس فى قطاع الطريق وحيلولته بينهم وبين من استنجد به لا تحوليها الدفاتر رضى الله تعالى عنه . قلت : وقد شاهدت انا بعينى سنة خمس واربعين وتسعمائة اسيرا على منارة سيدى عبدالعال مقيداً مغلولاً وهو مخبط العقل . فسألته عن ذلك . فقال : بينما انا فى بلاد الفرنج آخر الليل توجهت الى سيدى أحمد فاذا أنا به فأخذنى وطار بى فى الهواء فوضعنى هنا. فمكث يومين ورأسه دائرة عليه شدة من الخطفة انتهى . وهذا كله ، صريح بثبوت الكرامات بعد الموت وهو أمر حق فى نفسه لايشك فيه إلا كل ناقص الايمان منطمس البصيرة مطرود عن باب فضل الله تعالى متعصب على أهل الله تعالى أو قعه الله تعالى فى ورطة الإنكار على أوليائه تعالى وقد اهانه الله تعالى وغضب عليه والقاه

الى الشيطان يتلاعب به ليبغض من يحبهم الله تعالى فيعرضه للاستخفاف بهم وبكراماتهم وإهانة قبورهم واحتقارها مع أن المعلوم عند من قرأ فى علم العقائد والتوحيد ان الارواح لها اتصال بالأجساد بعد الموت كاتصال شعاع الشمس بالأرض والروح فى مقرّها فيجب احترام قبور المؤمنين البتة لهذا المعنى حتى قال الجلال السيوطى رحمه الله تعالى فى كتابه «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» . قال اليافعى : مذهب أهل السنة أن ارواح الموتى تردّ فى بعض الأوقات من عليين او من سجين إلى أجسادهم فى قبورهم عند إرادة الله وخصوصاً ليلة الجمعة ويجلسون ويتحدثون وتنعم أهل النعيم وتعذّب أهل العذاب . قال : ويختص الأرواح دون الأجسام بالنعيم والعذاب مادام فى عليين أو سجين وفى القبر يشترك الروح والجسد انتهى .

ومما يدلّ على اتصال الأرواح بالأجسام فى القبور بعد الموت ما نقله فى بحر الكلام للإمام النسفى رحمه الله تعالى من قوله فى عذاب القبر . فان قيل : كيف يوجع اللحم فى القبر ولم يكن فيه الروح؟ فالجواب : سئل النبى ﷺ انه قيل له : كيف يوجع اللحم فى القبر ولم يكن فيه الروح : فقال عليه الصلاة والسلام : كما يوجع سنك وإن لم يكن فيه الروح؟ الا ترى ان النبى ﷺ أخبر أنّ السنّ يتوجعّ لما انه متصل باللحم ، وإن لم يكن فيه الروح . فكذلك بعد الموت لما كان روحه متصلاً بجسده فيتوجع انتهى وهذا صريح فى أن روحانيات الموتى متصلة بأجسامهم التى فى قبورهم وإن بليت أجسامهم وصارت تراباً . ولهذا جاء الشرع باحترام قبورهم كما ذكرناه فيما تقدم . فكيف لا ينبغى للمؤمنين احترام قبورهم وتعظيمها وزيارتها والتبرك بها وهم يعلمون ان الروحانيات الكاملة الفاضلة متصلة بتلك الأجساد الطيّبة الطاهرة كما هو مقتضى الاخبار النبوية وان صارت ترابا . ولا ارى المنكر لذلك إلاّ جاهلاً يعتقد من جهله أن الأرواح أعراض تزول بالموت كما تزول الحركة عن الميت ، طبق ما هو مذهب بعض الفرق الضالة ، حتى أنهم يزعمون ان الأولياء إذا ماتوا صاروا تراباً والتحقوا بتراب الأرض وذهبت روحانياتهم ، فلا حرمة لقبورهم . ولهذا يهينونها ويحتقرونها وينكرون على من زارها وتبرك بها حتى انى سمعت باذنى رجلاً يقول يوماً وانا أسمع وكنت

ذاهباً الى زيارة قبر الشيخ ارسلان الدمشقى رضى الله عنه : كيف تزورون تراباً ؟ ما هذا إلاّ قلة عقل ! فتعجبت من ذلك غاية العجب ، وقلت فى نفسى : ما هذا قول من يدعى الاسلام ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم .

وقد ورد فى الحديث «ان القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران» ولا معنى لذلك إلاّ أن روحانيات الموتى إمّا تنعم فى قبورهم أو تعذّب فيها . وذلك باتصال الروحانيات بالأجساد البالية التى خرجت من الدنيا وهى طاهرة بالإيمان والطاعات أو قذرة بالكفر والمخالفات . فحينئذ قبور المؤمنين محترمة متبجلة معظمة كما كانوا قبل ذلك ، وهم أحياء محترمون متبجلون . فانّ من احتقر عالما أو بغضه نخيف عليه الكفر ، كما صرّح بذلك الفقهاء .

ولا فرق بين الأحياء فى ذلك والأموات . أرايت أن الاحياء والأموات كلهم مخلوقات الله تعالى لا تأثير لأحد منهم فى شىء من الأشياء البتة . وانما المؤثر هو الله تعالى وحده على كل حال والأحياء والاموات سواء فى عدم التأثير قطعاً من غير شبهة ولكن الاحترام واجب فى حق الجميع . قال تعالى (ومن يعظم شعائر الله فانها من تقوى القلوب) وشعائر الله هى الأشياء التى تشعر اى تعلم به تعالى كالعلماء والصالحين أحياء وامواتاً ونحوهم .

ومن تعظيمهم بناء القباب على قبورهم وعمل التوابيت لهم من الخشب حتى لا يحتقرهم العامة من الناس وإن كان ذلك بدعة فهى بدعة حسنة ، كما قال الفقهاء فى تكبير العمائم وتوسيع الثياب للعلماء ، انه جائز حتى لا تستخف بهم العامة ويحترمونهم . وإن كان ذلك بدعة لم يكن عليها السلف حتى قال فى جامع الفتاوى فى البناء على القبر: وقيل لا يكره إذا كان الميت من المشايخ والعلماء والسادات . وفى المضمرات : وكان الشيخ ابوبكر محمد بن الفضل يقول : لا بأس باستعمال الأجر فى ديارنا وكان يجوز استعمال رفوف الخشب . وذكر الامام التمرتاشى : هذا إذا كان حول الميت وأما إذا كان فوقه فلا يكره لأنّه عصمة من السباع وهذا كما اعتادوا التسنيم باللبن صيانة عن النبش . ورأوا ذلك حسناً . وفى تنوير الأبصار : ولا يرفع عليه بناء . وقيل : لا بأس به . وهو المختار وفى شرح الكنز

للزيلعى. وقيل: لا بأس بالكتابة ووضع الحجر ليكون علامة لما روى انه عليه السلام وضع حجراً على قبر عثمان بن مظعون انتهى .

واما وضع الستور والعمائم والثياب على قبور الصالحين والأولياء فقد كرهه الفقهاء حتى قال فى فتاوى الحجة : وتكره الستور على القبور انتهى . ولكن نحن الآن نقول ان كان القصد بذلك التعظيم فى أعين العامة حتى لا يحتقروا صاحب هذا القبر الذى وضعت عليه الثياب والعمائم ولجلب الخشوع والأدب لقلوب الغافلين الزائرين لأن قلوبهم نافرة عن الحضور والتأدب بين يدى اولياء الله تعالى المدفونين فى تلك القبور، كما ذكرنا من حضور روحانياتهم المباركة عند قبورهم. فهو امر جائز لا ينبغى النهى عنه لأن الأعمال بالنيات ، ولكل إمرىء ما نوى . فانه ، وإن كان بدعة على خلاف ما كان عليه السلف . ولكن من قبيل قول الفقهاء فى كتاب الحج : انه بعد طواف الوداع يرجع القهقرى حتى يخرج من المسجد لان فى ذلك إجلال البيت وتعظيمه ، حتى قال فى منهج السالك : وما يفعله الناس من الرجوع القهقرى بعد الوداع فليس فيه سنة مروية ولا أثر محكى وقد فعل أصحابنا انتهى . وهذا تعظيم للبيت الحرام مع أنه جماد والأولياء أفضل منه من غير شبهة لأنهم مكلفون بخدمة الله تعالى دون الكعبة لأن عبادتها بلا تكليف . وإن كانوا أمواتاً فالميت كالجماد والاحترام لازم فى حق الجميع . وكسوة الكعبة أمر مشروع حتى ذكروا انه يجوز ستر الكعبة بالحرير و قبورالصالحين والأولياء وان لم تكن كعبة ولا كالكعبة من جهة الاحكام ولكنها محترمة لأن الكعبة انما امرنا بالتوجه إليها والطواف بها وتعظيمها واحترامها مع أنها جماد ابتلاء من الله تعالى تكليفاً لنا وإلا فهى أحجار. وكل من كان سجوده لها نفسها كان عابد اصنام فيكفر بالله تعالى ولهذا ورد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال حين قبل الحجر فى طوافه : انى أعلم انك حجر لا تضرّ ولا تنفع ، ولولا إنى رأيت رسول الله ﷺ فعل ذلك ما فعلته . قالوا سبب ذلك انه تذكر وضع الجاهلية الاصنام حول البيت وسجودهم لها فخشى ان يظن احد ان تقبيل الحجر يشبه نوعاً من الجاهلية فقال ما قال رضى الله عنه : وما سمعنا أحداً من العامة ولا

غيرهم يعتقد ان قبور الصالحين كعبة يصح الطواف بها أو تصح الصلاة اليها حتى نخاف عليهم من ذلك. وأنما العامة بجميعهم يعلمون ان القبلة هى الكعبة وحدها . وانها فى مكة ولكنهم يبالغون فى التعظيم والاحترام لتلك القبور لانها قبور أولياء الله تعالى وقبور احبائه تعالى وأهل صفوته . هذا مقدار مانعلم من أحوالهم والمؤمن لا يظن بالمؤمنين إلا خيراً .

وقد ورد فى الحديث كما اخرجه الأسيوطى رحمه الله تعالى فى الجامع الصغير قال قال رسول الله ﷺ : حسن الظن من حسن العبادة وقال تعالى : (ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض الظن أثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضاً) الآية . ويجب الحمل على الكمال فى حق عامة المؤمنين كما كان يعاملهم النبى ﷺ مع علمه باطلاع الله تعالى له انّ منهم المنافقين الذين كانوا يبطنون الكفر والجحود ويظهرون الايمان . ومع ذلك كان يعامل الجميع معاملة اهل الايمان لانه جاء يحكم بالظاهر والله يتولى السرائر كما قال عليه الصلاة والسلام.أمرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لااله الاالله وانى رسول الله ، فاذا قالوها فقد عصموا منى دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله . ولا ينبغى لمسلم ان ينكر كل ما يراه حدث ولم يكن فى العصر الأول ما لم يطلع على قباحته وان فاعله فعله على وجه يخالف ما هو مقصود الدين المحمدى . أرايت ان رسول الله ﷺ يقول : من سن سنة حسنة كان له ، ثوابها وثواب من عمل بها الى يوم القيامة . فقد سمى ما تحدثه الأمة بعده مما هو غير مخالف لمقصود شرعه سنة مع انه لم يكن له وجود فى زمنه ﷺ. فالبدعة الحسنة الموافقة لمقصود الشرع تسمى سنة على هذا ، تسمية وردت على لسان الشارع ﷺ .

ومن هذا القبيل ما ذكره الفقهاء فى مبحث زيارة النبى ﷺ من قولهم وما يفعله بعض الناس من النزول بالقرب من المدينه والمشى الى ان يدخلها حسن . وكل ما كان ادخل فى الأدب والاجلال كان حسنا كما ذكره والدى رحمه الله تعالى فى حاشيته على شرح الدرر فى كتاب الحج .

ويقاس على هذا إيقاد القناديل والشمع عند قبور الأولياء والصالحين وهو أيضاً من باب التعظيم والإجلال للاولياء . فالمقصد فيها مقصد حسن لا سيما ان كان لذلك الولى فقراء يخدمونه ، يحتاجون الى ايقاد المصباح ليلاً لقراءة قرآن أو تسبيح أو تهجد وإن كره الفقهاء الصلاة عند القبور ولكن محله فى غير الموضع المعد لذلك ، المتباعد عن القبر . وقد قال والدى رحمه الله تعالى فى حاشيته على شرح الدرر : وتكره الصلاة فى المقبرة لأنه يشبه اليهود . فان كان فيها موضع أعد للصلاة ليس فيه قبر ولا نجاسة . فلا بأس به كما فى الخانية وفى الحاوى . فان كانت القبور وراء المصلى لا يكره وإن كان بينه وبين القبر مقدار مالو كان فى الصلاة ومر انسان لا يكره فههنا أيضاً لا يكره انتهى .

واما وضع اليدين على القبور والتماس البركة من مواضع روحانيات الأولياء فهو أمر لا بأس به ايضاً . قال فى جامع الفتاوى . وقيل : لا يعرف وضع اليد على المقابر سنة ولا مستحبا ولا نرى به بأساً انتهى . والأعمال بالنيات فان كان مقصده خيراً كان خيرا . والله يتولى السرائر .

واما نذر الزيت والشمع للأوليا يوقد عند قبورهم تعظيمالهم ومحبة فيهم فهو جائز فى الجملة . أرأيت ان الفقهاء قالوا فى وقف الذمى الزيت على سراج بيت المقدس : انه صحيح لكونه قربة عندنا وعندهم . وفى كتاب أوقاف الخصاف من بحث وقف الذمى فان قال أرضى صدقة موقوفة تكون غلتها فى ثمن زيت للاسراج فى بيت المقدس . قال : هذا جائز لانه قربة عندنا وعندهم انتهى وبيت المقدس مسجد شريف فالإسراج فيه من جملة تعظيمه وكذلك قبور الصالحين والأولياء المقربين .

وكذلك نذر الدراهم والدنانير للأولياء بأن تصرف على فقرائهم المجاورين عند قبورهم أمر جائز فى نفسه لأن النذر فيه مجاز عن العطية كما قالوا فى الهبة للفقراء انه صدقة فليس له الرجوع بها وفى الصدقة على الأغنياء . انها هبة فيثبت له الرجوع فيها . فالعبرة لمقاصد الشرع دون الألفاظ ، فان النذر انما هو مخصوص بالله تعالى فاذا استعمل فى غيره كمن قال لرجل : لك على عشرة دراهم إن شفا الله مريضى ونحوه . ثم قال : نذرت لفلان كذا كان وعداً منه بذلك

وهو مجاز عن الهبة إن كان ذلك الرجل غنياً وعن الصدقة إن كان فقيراً . ورب انسان يقول لآخر من اهل الذمة الكافرين بالله تعالى إن شفا الله تعالى مريضى فلك عندى مائة درهم مثلاً . ولا يأثم فى قوله ذلك . ويكون صدقة لان الصدقة على فقراء أهل الذمه جائزة ما عدا الزكواة ؛ كما قرره الفقهاء فى كتبهم . فكيف يقول عاقل بحرمة قول الانسان لولى من الاولياء بعد الموت ان شفا الله مريضى فلك عندى مائة درهم ونحوه . مع أن أهل الولاية أولى فى هذا المعنى من غيرهم ، وإن كانوا أمواتاً فان القائل يعلم ان ذلك يصرف فى مصالح الخادم لذلك الولى وللفقراء المجاورين عنده فيجعل ذلك وعداً وعطية وإباحة من ذلك القائل لكل من يأخذه ، تصحيحاً لقول المؤمنين ما امكن والله ولى التوفيق .

وأما احتجاج بعض النّاس على تحريم هذه الأمور بغير دليل قطعى فموجبه عدم الحياء من الله تعالى وعدم الخوف منه فان الحرام فى النهى فى مقابلة الفرض فى الأمر . وكلٌ منهما يحتاج فى ثبوته الى دليل قطعى إما اية من كتاب الله تعالى أو سنة متواترة أو اجماع معتد به أو قياس يورده المجتهد لا غيره من المقلدين لانه لا عبرة بقياس المقلدين الذين لم تتوفر فيهم شروط الاجتهاد كما هو مسطر فى كتب الأصول.

وأما قول بعض المغرورين : بأننا نخاف على العوام إذا اعتقدوا وليا من الأولياء وعظموا قبره والتمسوا البركة والمعونة منه ان يدركهم اعتقاد ان الاولياء تؤثر فى الوجود مع الله تعالى فيكفرون ويشركون بالله تعالى ، فننهاهم عن ذلك ونهدم قبور الاولياء و نرفع البنيانات الموضوعة عليها ، ونزيل الستور عنها ؛ ونجعل الإهانة للأولياء ظاهراً حتى تعلم العوام الجاهلون ان هؤلاء الأولياء لوكانوا مؤثرين فى الوجود مع الله تعالى لدفعوا عن أنفسهم هذه الإهانة التى نفعلها معهم . فاعلم ان هذا الصنيع كفر صريح مأخوذ من قول فرعون على ماحكاه الله تعالى لنا فى كتابه القديم بقوله تعالى : (وقال فرعون ذرونى اقتل موسى وليدع ربه انى اخاف ان يبدل دينكم او ان يظهر فى الارض الفساد) . وكذلك هؤلاء المغرورون لم يكمل ايمانهم بعد بان الله تعالى يحب أولياءه وأنه يخلق على ايديهم فى حياتهم جميع ما قدر ان يرتكبوه مما لم يخالف الشرع وجميع ما تريده روحانياتهم بعد موتهم

بأمره تعالى الذى روحانيانهم منه من الأمور الخارقة للعادة وكأنهم لم يعلموا بعد ان الايمان حق وانه منح عند الله تعالى فقلوبهم مملوءة من ظنون و شكوك واوهام وتخيرات وزيغ. وقد عموا وصموا وختم الله تعالى على قلوبهم حتى لم يقدروا على الفرق بين الحق والباطل . ومن يضلل الله فماله من هاد ولوأنهم صدقوا فى خوفهم ذلك على عامة المسلمين لقرروا لهم أحكام العقائد والتوحيد وعلموهم البراهين والحجج القطعية من غير منازعة ولاجدال وحملوهم على الفهم فى العقائد والنظر فى الفضائل . وشدوا عليهم فى ذلك غاية التشديد ، فان العامة متى تحققوا فى نفوسهم ان الفاعل واحد على كل حال . ولا تأثير لشيء البتة تحولت خواطرهم عن اعتقاد التأثير فى غيره تعالى وعلموا ان كل ما سواه تعالى بيده تعالى ، فتن وتخيرات تسمى أسبابا يضل الله بها من يشاء ويهدى من يشاء . قال تعالى : (والله من ورائهم محيط) يعنى من وراء جميع الأشياء المحسوسات والاشياء المعقولات على معنى أنه لا يشبهها ولا تشبهه البتة . وعلى فرض ان يكون غرضهم ذلك المذكور فكيف يجوز انتهاك حرمات الله تعالى فى حق أوليائه واهل خاصته بهدم قبابهم وتحقير قبورهم فى عيون العامة وهتك ستورهم الموضوعة احتراماً لهم من أجل هذا الأمر الموهوم وهو خوف الضلال على العامة . وكيف يجوز الظن السوء فى حق العامة ولم يكن النبى ﷺ ولا أصحابه يفعلون ذلك لان الظن السوء بالمسلمين حرام محقق كما قدمناه .

وأما اعتقاد شيخ بعينه والانتماء إليه والسلوك على طريقته الخاصة فهو أمر مطلوب . فان العمل بالجوارح كما يحتاج المقلد فيه إلى سلوك مذهب مخصوص إن لم يكن مجتهداً كالحنفى يقلد أبا حنيفة والشافعى يقلد الشافعى ونحو ذلك ، كذلك سالك الطريق إلى الله تعالى يحتاج الى تقليد شيخ مخصوص فى البداية لتتصل البركة والامداد بواسطة محبة ذلك الشيخ واعتقاده من الله تعالى الى ذلك الانسان ، كما أن الشيخ إذا كان حيا تتصل بركته بخادمه ومعتقده والمستمد منه . فكذلك الشيخ إذا كان ميتاً مدفوناً فى قبره فان المؤثر فى الحقيقة هو الله تعالى ولا فرق فى الاستمداد بين الشيخ الحى والميت بعد معرفة انهما لا يؤثران فى شيء من

الاشياء مع الله تعالى قطعاً ، فان المريد الصادق إذا صدق فى طلب المدد من الله تعالى على يد شيخ حى او ميت مما هو سبب من جملة الأسباب ، فالله تعالى لا يخيبه البتة . فان المرشد الكامل إذا كان حيا ليس فى وسعه إيصال المريد إلى الله تعالى بتأثيره . وإنما الموصل هو الله تعالى وحده ولكن المرشد سبب كما قال تعالى لمحمد ﷺ . الذى هو أعظم مرشد للامة : (إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم) . وقال له : (ليس لك من الأمر شيء) .

ونقل قدوتنا الشيخ الاكبر محى الدين ابن العربى قدس الله سره : ان من جملة مشايخه الذين انتفع بهم فى طريق الله تعالى ميزاب رآه فى مدينة فاس فى حائط ينزل منه ماء السطح فانتفع به ومن مشايخه ظله الممتد من شخصه وذكر نحو ذلك فى كتابه روح القدس . وهذه الاولياء الذين فى قبورهم أليس أنهم أعلى من الميزاب والظل اللذين كان يستمد منهما الشيخ الاكبر رضى الله عنه بسبب صدقه فى طلبه . فكيف ينكر عاقل استمداد انسان من ولى ميت من أولياء الله تعالى وهو يعلم أن روحانيات الأولياء متصلة بأجسامهم فى قبورهم كما سبق بيانه . وكيف يستبعد انسان مسلم هذا الاستمداد من الأموات الذين هم أفضل من هؤلاء الأحياء الغافلين عن معرفة رب العالمين بيقين . ومع ذلك تراه إذا عرضت له حاجة إلى ظالم أو فاسق أو كافر جاء اليه متذللاً خاضعاً ويداهنه ، ويطلب منه قضاء حاجته ويستمد منه ثم يقول : فلان قضى حاجتى ونفعنى . بل إذا جاع استمد الشبع من المأكل ، وإذا عطش استمد الرى من الماء ، وإذا عرى استمد ستر العورة من الثوب ، ونحو ذلك استمداداً طبيعياً مع علمه أن المأكل والماء والثوب جمادات لا روح فيها . ولو صرح بهذا الاستمداد وقال : أنا أطلب الشبع من المأكل ونحوه على المعنى المجازى مع اعتقاده ان الله تعالى هو الممد الحقيقى فلاخطأ عليه ولا اثم ولاعار . وكذلك يقول هذا الغافل الدواء الفلانى مسهل والشيء الفلانى قابض والمعجون الفلانى نافع من كذا ، ولايبالى فى هذا القول ولا يظهر منه الا تنقاد والاحتراز إلا فى حق نسبة التأثير والاستمداد إلى اولياء الله تعالى الذين هم أفضل عند الله تعالى من كل دواء وكل معجون وما ذلك إلا من انطماس البصيرة والعماء عن الصواب .

ولما يحث المريد على اتخاذ الشيخ الحى مسترشدا منه او الميت مستمدا منه ما نقله الشيخ عبدالوهاب الشعراوى رحمه الله تعالى فى كتابه العهود المحمدية : ان معروفا الكرخى كان يقول لأصحابه : إذا كان لكم الى الله تعالى حاجة فاقسموا عليه بى ولا تقسموا عليه به تعالى . فقيل له فى ذلك فقال : هؤلاء لا يعرفون الله تعالى فلم يجبهم، ولو أنهم عرفوه لأجابهم. وكذلك وقع لسيدى محمد الحنفى الشاذلى انه كان يعدى من مصر إلى الروضة ماشياً على الماء هو وجماعته فكان يقول لهم : قولوا ياحنفى . وامشوا خلفى وإياكم ان تقولوا يا الله ! تغرقوا. فخالف شخص منهم وقال : يا الله فزلقت رجله فنزل الى لحيته فى الماء فالتفت اليه الشيخ وقال : يا ولدى انك لا تعرف الله تعالى حتى تمشى باسمه على الماء ، فاصبر حتى اعرفك بعظمة الله تعالى . ثم اسقط الوسائط انتهى .

وفى الجملة فاتخاذ الشيخ الحى ان وجد ، وإلا فالميت أولى. والكل أموات لماقدمناه من اشارة قوله تعالى: (انك ميت وانهم ميتون) فافهم ترشد إن شاء الله تعالى ولا تعترض تكن من الهالكين . فان الله تعالى يغار لاوليائه إذا انتهكت حرماتهم أشد غيرة ولا إله غيره انه لقول فصل وماهو بالهزل انهم يكيدون كيدا واكيد كيدا فمهل الكافرين امهلهم رويدا .

وأما هذه الطبول والنايات وهذه الأعلام والرايات التى تتقيد بها الفقراء اليوم وهذه الأوقات التى اخترعتها مشايخ هذا الزمان فان جميعها جهل ولهو وبطالة لاينبغى للشيخ المرشد أن يعملها ولا أن يقر عليها لمايترتب عليها من مفسدة الغرور بغير الله تعالى والاعراض عن طلب العلم النافع والاجتهاد فى سنن سيد المرسلين ﷺ وإن كنا نحن لا ننكرها على الكاملين العارفين إذا صدرت منهم (قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون إنما يتذكر أو لوالألباب) .

وأما الاجتماع وذكر الله تعالى الصحيح الخالى من اللحن مع الأدب والخشوع بعد معرفة الواجب من الاعتقاد الموافق ، والواجب من كيفية الأعمال الصالحة فى العبادات والمعاملات فهو أمر جائز مندوب إليه ولاالتفات لمن رده من تعصبه وجهله. فقد نقل الشيخ المناوى رحمه الله تعالى فى الشرح الكبير على الجامع الصغير عن

الشيخ الأسيوطى رحمه الله تعالى انه اتخذ من قوله عليه الصلاة والسلام: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون . ونحو هذا الحديث : ان ما اعتاده الصوفية من عقد حلق الذكر والجهر به فى المساجد ورفع الصوت بالتهاليل لا كراهة فيه . ذكره فى فتاواه الحديثية ، قال : وقد وردت أخبار تقتضى ندب الجهر بالذكر وأخبار تقتضى الاسرار به والجمع بينهما ان ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص كما جمع النووى رضى الله عنه به بين الاحاديث الواردة بندب الجهر بالقرأة والواردة بندب الإسرار بها انتهى كلامه .

وأما خصوص هذا الصعق والزعق والصياح والاضطراب والتواجد عند سماع أقوال المغنين واحتباك أصوات الذاكرين جهراً فلا تطلق القول فيه . وإنما نفصل . فان كان يحق بان قام للتواجد قومة المضطر الذى استغرقه المعانى الالهية الواردة على قلبه وخاطره فى ذلك الوقت ، فانا لاننكر ذلك ولكن نسلمه لفاعله على أنه ليس كمالاً له . والكمال فى السكون كما قال الشيخ أرسلان رضى الله عنه فى رسالته فى علم التوحيد : إذا عرفته سكنت واذا جهلته تحركت . وأما إذا كان قيامه وتواجده مجرد شهوة نفسية بعثته فحركته عمدا وهيمته واطربته وحملته على فعل ذلك الصياح والاضطراب ، فهو شيطان مريد يجب منعه وطرده وإخراجه من بين الجماعة حتى لا يفسد بقية الذاكرين ويشتت قلوبهم ويزيل خشوعهم وأدبهم .

فان قال قائل: من أين يعرف المريد المحق من المبطل ؟ نقول له : من شرب الخمرة لابد أن يتقاياها أو تنتفح رائحتها من فمه وبيان ذلك انا نسأله ما الذى حملك حتى صحت وزعقت واضطربت ؟ فان بين معنى الثنيا يحمل ذلك وشرح لنا شيأ من المعانى الواردة على قلبه عند السماع بحيث نستدل بالثمرة على الأغصان وبالزهرة على البستان سلمنا له ذلك واعتقدنا فيه الصلاح .

وأما إذا سألناه فوجدناه من جملة الثيران لا يزيد على قوله همت فى محبة ربى وأها جنى ذكرى حقائق الوجود وهو متعر من كل فضيلة فهو شيطان عنيد يجب طرده واخراجه وتأديبه .

وأما إنشاد الأشعار التى تكلم بها العارفون كأشعار الشيخ شرف الدين ابن الفارض والشيخ الأكبر ابن العربى وعفيف الدين التلمسانى والشيخ عبدالهادى السودى ونحوهم من السادة الصوفية رضى الله عنهم فهى جملة المهيجة القلبية إلى الحضرة الإلهية . فكل من كان يفهم الحقائق يجوز له سماعها وإنشادها . وكل من البته واو قعته فى الطرب النفسانى ولم ينتفع منها بوارد يرد على قلبه فلا يجوز له سماعها ، لأن سماعه حينئذ مجرد لهو وبطالة ، كما قال الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حياً
ولكن لا حياة لمن تنادى

ويجب علينا أن لا نسيىء الظنون فى أحد من العالمين إلا لمجاهر بكفره ومنهتك بفسقه إذا أخبر عن نفسه أو اطلعنا عليه من فلتات كلامه وتحققنا عدم فهمه وعدم تحققه بربه ، والجميع عندنا محمولون على الكمال. ولكن هذا مقدار الواجب علينا فى البيان ويجب على كل مسلم أن لا يخون نفسه ويغالطها . فان وجدلها قوة على المعرفة والانتفاع بحضور حلق الذكر المشتمل على السماع والوجد والإنشاد فليحضر ، وإلا فاشتغاله بطلب العلوم النافعة أولى كما قال القائل شعرا :

إذا لم تستطع شيئاً فدعه
وجاوزه إلى ما تستطيع

وليحذر كل الحذر أن يكون منافقاً فى الطريق فان الناقد بصير (والله بما تعلمون خبير) .

وأما هذا الزى المخصوص الذى اتخذه كل فريق من الصوفية كلبس المرقعات ومآزر الصوف والسيلوبات فهو أمر قصدوا به التبرك بمشايخهم الماضين ، فلاينهون عنه ولايؤمرون به فان غالب ملابس هذا الزمان من هذا القبيل كالعمائم التى اتخذها الفقهاء والمحدثون . والعمائم التى اتخذها العساكر والجنود والملابس التى تتخذها عوام الناس وخواصهم فانها جميعها مباحة ، وليس فيها شيء يوافق السنة إلا القليل . ولا نقول انها بدع ايضاً لأن البدعة هى الفعلة المخترعة فى

الدين على خلاف ما كان عليه النبى ﷺ وكانت عليه الصحابة والتابعون رضى الله عنهم وهذه الهيئات والملابس والعمائم ليست مبتدعة فى الدين بل هى مبتدعة فى العادة ولاهى مخالفة للسنة ايضاً على حسب ما عرف الفقهاء السنة بأنها كل فعلة فعلها النبى ﷺ على وجه العبادة لا العادة . ولم يكن النبى ﷺ يلبس العمامة على سبيل العبادة ولالبس الثياب المخصوصة على طريق العبادة . وانما القصد بذلك ستر العورة ودفع اذية الحر والبرد . ولهذا ورد عنه لبس الصوف والقطن وغير ذلك من الثياب العالية والسافلة . فليس مخالفته فى ذلك مخالفة سنة وإن كان الاتباع فى جميع ذلك أفضل لأنه مستحب والله اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحابته أجمعين . آمين .

وكان الفراغ من تصنيفها نهار الأربعاء السادس والعشرين من شعبان سنه أربع وثمانين بعدالالف ١٠٨٤ من الهجرة النبوية .

وكان الفراغ من كتابتها على يدالفقير محمد عمر الدوبكى الشافعى عفا عنهما منتصف صفر المبارك سنة تسع وثمانين وألف (١٠٨٩) .